﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

[الشّورى: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ الوحيِ وأقسامِهِ بعدَ بيانِ كمالِ العِلْمِ والقُدرةِ

لمّا بيَّنَ تعالى كمالَ قدرتِهِ وعلمِهِ وحكمتِهِ في تقسيم النّعم الجِسمانيّة التي يهبُها لعباده، أتبعها بتقسيم النّعم الرّوحيّة التي اختصّ بها أنبياءَهُ بوَحْيِهِ وكلامِهِ[1]، ومنها: لمّا تمَّ القسمُ الأوَّلُ ممّا بُنِيَ على العلم والقدرة، وكانَ خَلْقُهُ إيّاهُ إبداعًا مِنْ غيرِ توسيطِ سببٍ، وقد يكونُ بتوسيطِ سببٍ؛ أتبعَهُ القِسْمَ الآخرَ الأعلى الَّذي العِلْمُ فيهِ أظهرُ، وهو الوَحْيُ، وقسَّمَهُ أيضًا إلى ما هو بواسطةٍ، وإلى ما هو بغيرِ واسطةٍ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَحْيًا﴾: أصل (الوحي) الإشارةُ السريعة، ويدلُّ على إلقاءِ عِلْمٍ في خفاءٍ أو غيرِهِ إلى الغيرِ[3]، وذلكَ يكونُ بالكلامِ على سبيلِ الرَّمزِ والتَّعريضِ، وقد يكونُ بصوتٍ لا تركيبَ فيه، وقد يكونُ بإشارةٍ ببعضِ الجوارحِ، وبالكتابةِ، ويقالُ للكلمةِ الإلَهيَّةِ الَّتي تُلْقَى إلى أنبيائِهِ وأوليائِهِ: وحْيٌ، وذلكَ أنواعٌ كما دلَّ عليهِ قولُهُ تعالى هنا: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآيةَ، وذلكَ إمّا برسولٍ مُشاهَدٍ تُرى ذاتُهُ ويُسمَعُ كلامُهُ، كتبليغِ جبريلَ عليه السلام للنَّبيِّ ﷺ في صورةٍ مُعيَّنةٍ، وإمّا بسماعِ كلامٍ مِنْ غيرِ معاينةٍ؛

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 611، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 550.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 357.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وحي).

كسماعِ موسى كلامَ اللّه، وإمّا بإلقاءٍ في الرّوعِ، وإمّا بإلهامٍ، وإمّا بتسخيرٍ، وإمّا بمَنامٍ[1].

2) ﴿حِجَابٍ﴾: (حجب) أصلٌ يدلُّ على المنعِ منَ الوصول، ومِنْ ذلكَ يقالُ: حجبتُهُ عن كذا، أي: منعتُهُ[2]، والحاجبُ: المانعُ عنِ السُّلطانِ، والحِجابُ: المنعُ مِنَ الوصولِ، والمرادُ بهِ هنا: أنْ يوحَى إلى النَّبيِّ مِنْ حيثُ لا يرَى مكلِّمَهُ ومُبلِّغَهُ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

صوَرُ الوَحْيِ

يُخبرُ اللّهُ تعالى عن صوَرِ الوَحْيِ، فيقولُ: وما ينبغي لبشرٍ مِنْ بني آدمَ أنْ يُكلِّمَهُ ربُّهُ إلّا بإحدى ثلاث؛ إمّا أن يوحِيَ إليه وحيًا، بأن ينفث في قلبه ويُلْقيَ في روعه، سواء كان هذا في اليقظة أو في المنام، وإمّا أن يكلّمَه من وراء حجاب؛ فيسمعَ الكلامَ ولا يعرفَ مصدرَه، كما حصل لموسى عليه السلام، وإمّا أن يكلّم اللّهُ الرّسولَ منَ البشر، بأن يُرسِل إليه مَلَكًا منَ الملائكة كجبريل أو غيرِه، فيوحيَ ذلكَ الرَّسولُ إلى المُرسَلِ إليهِ ما يشاءُ ربُّهُ أنْ يوحِيَهُ إليه، مِنْ أمرٍ ونهيٍ وغيرِ ذلكَ، إنَّهُ ﷻ عَلِيٌّ عن صفاتِ المخلوقينَ، يفعلُ ما تقتضيهِ حِكمتُهُ، فيُكلِّمُهُ تارةً بواسطةٍ، وتارةً بغيرِ واسطةٍ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾:

عطفُ القِصّة على القِصّة

قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ عطفٌ على ما سبقَ مِنْ حكايةِ تُرَّهاتِهم، عطفَ القِصَّةِ على القصَّةِ، وهو رجوعٌ إلى إبطالِ شُبَهِ المشركينَ الَّتي أشارَ إليها قولُهُ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ

(1) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفّاظ: (وحي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وحي).
(3) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفّاظ: (حجب).
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 558، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 63.

إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الشّورى: 3]، وقولُهُ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشّورى: 13]، ويَزيدُهُ وضوحًا قولُهُ بعدَ هذهِ الآيةِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشّورى: 52].

دلالةُ التَّعبيرِ بفعلِ الكونِ المنفيِّ ﴿وَمَا كَانَ﴾:

عُبِّرَ بفعلِ الكونِ الماضي المنفيِّ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾؛ للدّلالة على أنَّ البشرَ غيرُ مؤهَّلينَ لتكليمِ اللّهِ لهُم إلّا بالطُّرقِ المذكورةِ في الآيةِ؛ إذ معنى (ما كانَ لبشرٍ): ما صحَّ لهُ[1]، وما أمكنَ لهُ، و﴿كَانَ﴾ تامَّةٌ، والفاعلُ ﴿أَن يُكَلِّمَهُ﴾[2].

البَشرُ غيرُ مؤهَّلينَ لتكليمِ اللهِ لهُم، إلّا بالصّوَرِ المذكورةِ

دلالةُ اللّامِ في: ﴿لِبَشَرٍ﴾:

اللّامُ الجارَّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ للملكِ والاستحقاقِ، فتفيدُ بمعونةِ سياقِ النَّفي انتفاءَ مِلْكِ البشرِ واستحقاقِهِ أنْ يُكلِّمَهُ اللّهُ بغيرِ الصّوَرِ المذكورةِ في الآية.

ليسَ للبشرِ إلّا ما أعطاهُم اللهُ

دلالةُ تنكيرِ ﴿لِبَشَرٍ﴾:

أفاد تنكيرُ (بشر) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ العمومَ؛ لأنَّهُ نكرةٌ في سياقِ النَّفي، فيُفيدُ استغراقَ النَّفي، والمعنى: وما صحَّ لأحدٍ مِنَ البشرِ[3].

سرُّ التّعبيرِ بالتّكلّمِ دونَ غيرِه:

عُبِّرَ بالتَّكلُّمِ في قولِه: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ﴾ دون غيرِه؛ لأنَّ المرادَ بهِ بلوغُ مرادِ اللّهِ إلى النَّبيِّ، سواءٌ كانَ ذلكَ البلوغُ بكلامٍ يسمعُهُ ولا يَرى مصدرَهُ، أو بكلامٍ يُبلِّغُهُ إليهِ المَلَكُ عنِ اللّهِ تعالى، أو بعلمٍ يُلقَى في نفسِ النَّبيِّ، يوقِنُ بأنَّهُ مرادُ اللّه، وإطلاقُ الكلامِ على هذهِ الأنواعِ الثَّلاثةِ بعضُهُ حقيقةٌ، مِثلُ ما يسمعُهُ النَّبيُّ، كما سمعَ موسى، وبعضُهُ

بالكلامِ يبلغُ مرادُ اللهِ سبحانه إلى النّبيّ ﷺ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 233.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 266.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 611.

مجازٌ قريبٌ مِنَ الحقيقةِ، وهو ما يُبلِّغُهُ المَلَكُ إلى النَّبيِّ؛ فإنَّهُ رسالةٌ بكلامٍ، وبعضُهُ مجازٌ مَحْضٌ، وهو ما يُلقَى في قلبِ النَّبيِّ معَ العلمِ، فإطلاقُ فعلِ ﴿يُكَلِّمَهُ﴾ على جميعِها مِن استعمالِ اللَّفظِ في حقيقتِهِ ومجازِهِ، وإسنادُ فعلِ ﴿يُكَلِّمَهُ﴾ إلى اللهِ إسنادٌ مجازيٌّ عقليٌّ[1]، ولا تتأتّى هذه المعاني إلّا مِنَ التّعبيرِ بالكلامِ في قوله: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ﴾.

سرُّ التَّعبيرِ بالمصدرِ المؤوَّلِ ﴿أَن يُكَلِّمَهُ﴾:

عُبِّرَ بالمصدرِ المُؤوَّلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ دون المصدرِ الصّريحِ؛ ليَقعَ التَّصريحُ بالفاعلِ والمفعولِ على أتمِّ وجوهِهِ[2].

نُكْتَةُ إظهارِ لفظِ الجلالةِ:

تكليمُ العظيمِ عظيمٌ

أُظهِرَ لفظُ الجلالةِ في موضعِ الإضمارِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾؛ تعظيمًا للوَحْيِ، وتشريفًا لمقدارِهِ بجلالِ إيثارِه، والمعنى: وما كانَ لبشرٍ أنْ يُكلِّمَهُ ذو العظَمةِ والجلالِ، الجامعُ لصفاتِ الكمالِ إلّا وحيًا[3].

بلاغةُ القصرِ بالنَّفيِ والاستثناءِ:

لا طريقَ لتكليمِ اللهِ للبشرِ إلّا الصّوَرُ المذكورةُ

القَصْرُ بالنَّفيِ والاستثناءِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ يحصرُ كلامَ اللهِ للبشرِ في هذهِ الطُّرقِ المذكورةِ، وبناءً على ذلكَ يوصَفُ الإنسانُ الَّذي كلَّمَهُ اللهُ بواحدٍ منها، بأنَّ اللهَ قد كلَّمَهُ[4].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالوَحْيِ:

اشتمالُه على كلّ صور تكليم الله للبشر

عُبِّرَ بالوَحْيِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ دون غيرِه لشموله لكلّ صوَر التّكليم منَ الله للإنسان، وهي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 141.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 357.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 357، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 550.
(4) أبو موسى، آل حم، ص: 233.

إلقاءُ العلمِ في خفاءٍ، فيشملُ الإلهامَ والقذفَ في القلبِ أوِ المنامِ[1]، وبذلكَ تزدادُ عظَمةُ الوَحْيِ، ومكانةُ الرُّسُلِ المخصوصينَ بهِ دونَ باقي البَشرِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ ﴿وَحْيًا﴾:

الوَحْيُ ليسَ فيهِ صوتٌ ولا ترتُّبُ كلماتٍ

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالمصدر ﴿وَحْيًا﴾؛ لأنّه لمّا كانَ الوَحْيُ الَّذي بلا واسطةٍ ليسَ فيهِ صوتٌ ولا ترتُّبٌ في كلماتٍ - معَ كونِهِ أخفَى الأقسامِ - ؛ عُبِّرَ فيهِ بالمصدرِ، فقيلَ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[2].

سِرُّ تَعدُّدِ تراكيبِ صوَرِ الوحي:

تعدّدت صورُ تكليمِ اللهِ لرسلِه، فعُبّر بالاسميّة والفعليّة لجمعِ هذه المعاني

من بلاغةِ التّعبيرِ القرآنيّ تعدّدُ تراكيبِ صورِ الوحي الدّالّة على تكليمِ اللهِ الرُّسُلَ بتراكيبَ مختلفةٍ، فجِيءَ بالمصدرِ أوَّلًا في قولِهِ: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، وجِيءَ بما يُشبِهُ الجملةَ ثانيًا، وهو قولُهُ: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، وجيءَ بالجملةِ الفعليَّةِ ثالثًا، بقولِهِ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ﴾[3]، وفي ذلك جمعٌ لمعاني الاسميّة والفعليّة في تعداد صوَر تكليم اللّه لرسلهم؛ لأنّه لمّا كان الوحيُ الذي بلا واسطة من أخفى الأقسام، وليس فيه صوتٌ ولا تَرتُبُ كلماتٍ، عَبّر بالمصدر، وعَبّر فيما يُلْقيه المَلَكُ بما يَدلُّ على التّجدّد؛ فقال: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾، ولمّا كان الوحي مُسبّبًا عنِ الإرسال، ومُرتّبًا عليه، قال: ﴿فَيُوحِيَ﴾ على سبيل التّجديد والتّرتيب[4].

دلالةُ العطفِ بـ ﴿أَوْ﴾:

تقسيمُ أنواعِ تكليمِ اللهِ للبشرِ

عُطِفَ بـ ﴿أَوْ﴾ دون الواو في قولِهِ ﷻ: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾؛ للدّلالةِ على التَّقسيمِ لأنواعِ تكليمِ اللّهِ تعالى للبشرِ،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 233.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 359.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 144.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/ 651.

ويجوز أن تكون بمعنى الواو؛ فتفيدُ الجمعَ بين صورتين من صوَر الوحي، ولا يتأتّى ذلك إلّا من ﴿أَوۡ﴾.

دلالةُ ﴿مِن﴾ في: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾:

الظّاهرُ أنَّ ﴿مِن﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ لابتداءِ الغايةِ مجازًا، فتُفيدُ أنَّ ابتداءَ التَّكليمِ يكونُ مِنْ وراءِ حجابٍ.

دلالةُ التّعبيرِ بلفظ: ﴿وَرَآيِٕ﴾:

وراءَ الحجاب ما ستره الشّيءُ وحَجبه

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بكلمة ﴿وَرَآيِٕ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ دون (خلف)؛ لأنّ مادّة (ورى) تدلّ على السَّتر والحِجاب، ومعنى (وراء كذا): ما ستره الشّيءُ وحَجَبه، وهذا هو المناسب لسياق الآية في تكليم اللّه لرسله؛ بخلاف لفظ (خلف)؛ فلا يؤدّي هذا المعنى، إنّما يدلّ على التّأخير في المكان، وليس هذا مرادًا هنا.

سرُّ التّعبيرِ بالحجاب دون السّاتر:

السّترُ لا يمنع منَ الدّخول على المستور، أمّا الحجابُ فيمنع

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالحجاب دون السّاتر في قوله: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؛ لوجود فرقٍ بينهما؛ فالحجاب هو المانعُ والممنوع به، والسَّتر هو المستور به، ولأنّ الحجاب يطلق على السّتر إذا قصد المنع؛ فيقال حجبه: إذا قصد منْعَه، ولا يقال ذلك لمن جلس في بيته إلّا إذا قصد منْعَ غيره، وعلى هذا فالسّتر لا يمنع منَ الدّخول على المستور، أمّا الحجاب فيُمنع، ولمّا كان الكلام في تكليم اللّه لرسله كان التّعبير بالحجاب هو المناسبَ لعظمته ﷻ ولجليل قدره[1].

سرُّ تنكيرِ ﴿حِجَابٍ﴾:

تنكيرُ ﴿حِجَابٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ للتَّعظيم، أي: مِنْ وراءِ حجابٍ عظيمٍ، ويحتملُ أنْ يكونَ للنَّوعيَّةِ، أي: مِنْ وراءِ نوعٍ مِنْ أنواعِ الحجابِ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 322.

بلاغةُ الاحتباكِ في الآية:

مناسبةُ تركِ التَّصريحِ لسياقِ العظَمةِ

يمكنُ تنزيلُ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ على الاحتباكِ؛ بأنْ يكونَ ذِكْرُ الحجابِ ثانيًا دليلًا على نفيهِ أوَّلًا، وذِكْرُ الوَحْيِ الدّالِّ على الخفاءِ أوَّلًا دليلًا على الجهرِ ثانيًا، وذِكْرُ الحجابِ ثانيًا دليلًا على الرُّؤيةِ أوَّلًا، وسرُّهُ: أنَّ تركَ التَّصريحِ والدّلالةَ عليها بالحجابِ؛ أولى بسياقِ العظَمةِ[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾:

استمرارُ إرسالِ المَلَكِ وتجدُّدُهُ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾؛ للدّلالةِ على استمرارِ إرسالِ الرَّسولِ وتجدُّدِه[2]، وفي ذلك دلالةٌ على عنايةِ اللّه بأمرِ البشرِ بإصلاحهم وهدايتهم من خلالِ تتابعِ الرّسلِ.

نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿رَسُولًا﴾:

تنكيرُ ﴿رَسُولًا﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ للإفرادِ، أي: فردًا مِنْ أفرادِ الرُّسُلِ، أي: مِنَ الملائكةِ، وهو جبريلُ أو غيرُهُ[3]، ويحتملُ أنْ يكونَ لتعظيمِ الرَّسولِ بعظَمةِ ما يحملُهُ مِنَ الوَحْيِ.

سرُّ التّعبيرِ بالفاءِ في: ﴿فَيُوحِيَ﴾:

لمّا كانَ الوَحْيُ مُسبَّبًا عنِ الإرسالِ، ومُرتَّبًا عليهِ؛ عُبِّرَ بفاءِ السَّببيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[4].

نُكْتَةُ صيغةِ المضارعِ في: ﴿فَيُوحِيَ﴾:

تجدُّدُ الوَحْيِ واستحضارُ صورتِه العظيمة

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾؛ للدّلالةِ على تجدُّدِ الوَحْيِ واستمرارِه[5]، ويحتملُ أنْ تكونَ صيغةُ المضارعِ لاستحضارِ صورةِ الوَحْيِ العظيمةِ الشَّأنِ.

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 359.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 359.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 144.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 359، وأبو موسى، آل حم، ص: 235.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 359.

دلالةُ الباءِ في: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾:

الباءُ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ للملابسةِ، فتُفيدُ أنَّ الوَحْيَ الَّذي يقومُ بهِ المَلَكُ يكونُ مُلتبِسًا بإذنِ الحقِّ جلَّ وعزَّ.

سرُّ التَّعبيرِ بالإذنِ في: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾:

الـوَحْـيُ بتمكينِ اللهِ

عُبِّرَ بالإذنِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ دون العِلْم؛ للتَّنصيصِ على أنَّ المُبلِّغَ للوَحْيِ - وهو المَلَكُ - لا فعلَ لهُ دونَ إقدارِ اللهِ وتمكينِه، فهو بمنزلةِ آلةٍ[1]، وفي التَّعبيرِ بهِ أيضًا إشارةٌ إلى أنَّ اللهَ سبحانَهُ عالمٌ بهذا الوَحْيِ وآمِرٌ به، وفي ذلكَ حثٌّ على الاتِّباعِ والانقيادِ[2]، ولأنّ الإذن أخصُّ منَ العِلم، ولا يكاد يستعمل إلّا فيما فيه مشيئة ما، ضامَّه الأمرُ أم لم يُضامّه، ولأنّ الإذن في الشّيء إعلامٌ بإجازته[3].

غرضُ تقديمِ ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾:

كـونُ الـوَحْـيِ بـتـمـكـينِ الـلـهِ محلُّ العنايةِ

تقديمُ ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ على المفعولِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾؛ للعنايةِ بكونِ الوَحْيِ بإقدارِ اللهِ تعالى وتمكينِه، والإيماءِ إلى كونِهِ حقًّا، لا ينبغِي أنْ يُرتابَ فيه، بل تجبُ المسارعةُ إلى تصديقِهِ والعملِ بمقتضاهُ.

دلالةُ التّعبيرِ بالإضمارِ في: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾:

الوحيُ إعلامٌ في خفاءٍ، يناسبُه الإضمارُ الذي يحملُ معنى الخفاءِ

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالإضمارِ في قولِه: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾، ولم يأتِ بالإظهارِ بأنْ يقول: (بإذنِ اللهِ)؛ لسبْقِ الاسمِ الظّاهرِ في قولِه: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾، ولأنّ الوحيَ إعلامٌ في خفاءٍ، فناسبَه الإضمارُ الذي يحملُ معنى الخفاءِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 360.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 235.
(3) الرّاغب، المفردات: (أذن).

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿مَا﴾:

عُبِّرَ بالموصولِ ﴿مَا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾؛ ليشملَ كلَّ ما يأذنُ اللّهُ تعالى بتبليغِه، مِنَ الأوامرِ والنَّواهي، وغيرِ ذلكَ[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمشيئةِ:

عُبِّرَ بالمشيئةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ المَلَكَ المُرسَلَ لا يخرجُ عمّا حدَّهُ اللّهُ تعالى لهُ، ولا يُبلِّغُ ما لم يُؤمَرْ به، ولا يَنْقُصُ ممّا أُمِرَ بهِ[2]، وفي هذا دليلٌ على أنّ الرّسل عليهم السلام دورُهمُ البلاغُ، ولا يجوز عليهم الزّيادةُ أوِ النّقصان، وفي هذا تربيةٌ للمسلمين بأن يلتزموا شرع اللّه دون زيادة أو نقصان.

المَلَكُ المُرسَلُ لا يجاوزُ ما حُدَّ لهُ

بلاغةُ توجيهِ القراءاتِ القرآنيّةِ في الآية:

قَرَأَ نافِعٌ وابن ذكوان بخلفه بِرَفْعِ اللّام: ﴿أَوْ يُرْسِلُ﴾، وإسْكانِ الياءِ: ﴿فَيُوحِي﴾، وقرأ الباقون بالنّصب فيهما[3]، "وحُجّة مَنْ رفع وأسكن الياء أنّه استأنَفَهُ وقطعه ممّا قبله، أو رَفَعه على إضمار مبتدأ تقديره: (أو هو يرسل رسولًا)، ويجوز رفع ﴿يُرْسِلُ﴾ على الحال، على أن يجعل ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ حالًا، ويعطف عليه ﴿أَوْ يُرْسِلُ﴾، ويعطف عليه ﴿فَيُوحِيَ﴾، وحجة من نصب أنه حمله على معنى المصدر، لأن قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ معناه: (إلّا أن يوحيَ)، فيعطف ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ على (أن يوحيَ) فنصبه، تقديره: (إلا أن يوحيَ أو يرسلَ رسولًا ﴿فَيُوحِيَ﴾)، ولا يحسن عطفه على ﴿أَن يُكَلِّمَهُ﴾؛ لأنه يلزم منه تغير المعنى، لأنّه يُصيِّر المعنى إلى نفي الرسل، أو إلى نفي المرسَل إليهم الرسل، لأنه يَصيِّرُ التقديرَ: (وما كان لبشر أن يرسل رسولًا)، أي: أن يرسِلَه اللّه رسولًا، فلا بدَّ من حمله - إذا نصبه - على معنى وحي"[4].

الجمع بين الحال والاستقبال ليشمل جميع الأحوال

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 376.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 360.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 368.
(4) مكي بن أبي طالب، الكشف: 2/ 254.

سرُّ فصلِ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ عمّا قبلَه:

ارتباطُ صوَرِ تكليمِ اللهِ تعالى بالحكمةِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ بمنزلةِ تعليلٍ لِما سبقَ مِنْ أقسامِ تكليمِ اللهِ تعالى لِمَنْ يشاءُ مِنَ البشرِ، فهو سبحانَهُ يختارُ ما يشاءُ مِنْ صوَرِ تكليمِهِ للبشرِ(1).

بلاغةُ توكيدِ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾:

وَحْيُ اللهِ مقترنٌ بالحكمةِ البالغةِ

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ بـ (إنَّ) واسميَّةِ الجملةِ؛ للعنايةِ بمضمونِه، وهو اتِّصافُهُ تعالى بالعُلوِّ والحكمةِ، وللرَّدِّ على مَنْ يطعنُ في الرَّسولِ والقرآنِ والتَّوحيدِ، وذلكَ ببيانِ أنَّ الوَحْيَ الدّالَّ على العَظَمةِ الباهرةِ مقترنٌ بالحكمةِ البالغةِ(2)، وفي التّأكيدِ إشارةٌ إلى أنّ الوحيَ مصدرُه مِنَ اللهِ، وليس مِنَ الرّسلِ؛ فهو عالٍ عن كلّ أغراضِ البشرِ، حكيمٌ فيما شَرَعَ.

وجهُ إيثارِ صفتَيِ العُلوِّ والحكمةِ:

لولا العُلوُّ والحكمةُ ما تأهَّلَ البشرُ لتلقّي الوَحْيِ

اختيرت صفتا العُلوِّ والحكمةِ دونَ غيرِهما في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾؛ لمناسبتِهما للغرضِ؛ لأنَّ العُلوَّ في صفةِ العَلِيِّ عُلوُّ عظمةٍ فائقةٍ، لا تناسبُها النُّفوسُ البشريَّةُ الَّتي لم تَحْظَ مِنْ جانبِ القُدُسِ بالتَّصفيةِ، فما كانَ لها أنْ تتلقَّى مِنَ اللهِ مرادَهُ مباشرةً، فاقتضَى عُلوُّهُ أنْ يكونَ توجيهُ خطابِهِ إلى البشرِ بوسائطَ، يُفضي بعضُها إلى بعضٍ، وأمّا وصفُ الحكيمِ: فلأنَّ معناهُ المُتقِنُ للصُّنعِ، العالمُ بدقائقِه، وما خطابُهُ البشرَ إلّا لحكمةِ إصلاحِهم، وما وقوعُهُ على تلكَ الكيفيّاتِ الثَّلاثِ إلّا مِنْ أثرِ الحِكمةِ؛ لتيسيرِ تلقّي خطابِهِ ووَعْيِهِ دونَ اختلالٍ فيه، ولا خروجٍ عن طاقةِ المتلقّينَ(3).

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 91.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 360.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 85، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 91، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 150.

سِرُّ تقديمِ العليِّ على الحكيمِ:

التَّخليةُ مُقدَّمةٌ على التَّحليةِ

قُدِّمَ العليُّ على الحكيمِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾؛ لأنَّهُ تعالى بعُلوِّهِ يُهيِّئُ نفوسَ البشرِ لتلقّي خطابِه، وبحكمتِهِ يختارُ مِنْ صوَرِ التَّكليمِ ما يُبلِّغُ بهِ ما يشاءُ على الوجهِ الأتمِّ الأكملِ.

دلالةُ صيغةِ (فعيل) في: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾:

جيءَ بصيغةِ (فعيلٍ) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾؛ للمبالغةِ في اتِّصافِهِ تعالى بهاتينِ الصِّفتينِ[1]، وبيانِ أنَّهُ بلغَ فيهما مبلغًا لا حدَّ لهُ.

سرُّ التَّعبيرِ بالحكيمِ دونَ العظيمِ:

نهايةُ الوَحْيِ تتجلَّى فيهِ الحكمةُ

في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ رجوعٌ ظاهرٌ إلى قولِهِ في أوَّلِ السّورةِ: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشّورى: 4]، وقد جاءَ هنا بقولِهِ: ﴿حَكِيمٌ﴾ بدلَ قولِهِ هناكَ: ﴿ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشورى: 4]؛ لأنَّ العظيمَ جاءَ في مطلعِ ذِكْرِ الوَحْيِ، والحكيمَ جاءَ في مقطعِ ذِكْرِ الوَحْيِ، ومطلعُ الوَحْيِ تتجلَّى فيهِ العظمةُ، ونهايةُ الوَحْيِ تتجلَّى فيهِ الحكمةُ[2].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الكلامُ والقولُ والنُّطْقُ:

التَّكلُّمُ بلوغُ مُرادِ اللهِ إلى النَّبيِّ

الكلامُ: هو ما كانَ مُكتفيًا بنفسِه، وهو الجملةُ، والقولُ: ما لم يكنْ مُكتفيًا بنفسِه، وهو الجزءُ مِنَ الجملةِ، ثمَّ إنَّهم قد يتوسَّعونَ، فيضَعونَ كلَّ واحدٍ منهما موضعَ الآخرِ[3]، وأمّا النُّطْقُ: فهو الأصواتُ المُقطَّعةُ الَّتي يُظهِرُها اللِّسانُ، وتفهمُها الآذانُ، ولا يكادُ يقالُ إلّا للإنسانِ، ولا يقالُ لغيرِهِ إلّا على سبيلِ التَّبَعِ، نحوُ: النّاطقِ والصّامتِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 360.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 235.
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (كلم).

فيُرادُ بالنّاطقِ ما لهُ صوتٌ مِنَ الإنسانِ وغيرِه، وبالصّامتِ ما لا صوتَ لهُ، ولا يقالُ للحيوانِ: ناطقٌ إلّا مُقيَّدًا أو على سبيلِ التَّشبيهِ[1].

والحاصلُ: أنَّ الكلامَ أخصُّ مِنَ القولِ والنُّطْقِ، فالنُّطْقُ يقالُ للأصواتِ المُفهمةِ، والقولُ ما لم يكنْ مُكتفيًا بنفسِه، وهو جزءُ الجملةِ، والكلامُ ما كانَ مُكتفيًا بنفسِه، وهو الجملةُ.

السِّترُ والغِطاءُ والحِجابُ:

سماعُ الكلامِ دونَ رؤيةِ المتكلِّمِ

السِّتْرُ ما يَسترُكَ عن غيرِكَ وإنْ لم يكنْ مُلاصِقًا لكَ، كالحائطِ والجبلِ، تقولُ: تستَّرتُ بالحِيطانِ، ولا تقولُ: تغطَّيتُ بالحيطانِ، وإنَّما تقولُ: تغطَّيتُ بالثِّيابِ؛ لأنَّها مُلاصِقةٌ لكَ[2]، والحجابُ: ما يمنعُكَ عن مشاهدةِ غيرِكَ، والمرادُ بهِ هنا الخفاءُ، بحيثُ يسمعُ المخاطَبُ الكلامَ، ولا يرَى المتكلِّمَ، وليسَ كالحجابِ في الشّاهدِ[3].

الإرسالُ والبعثُ:

مناسبةُ الإرسالِ لكلامِ اللهِ الّذي هو رحمةٌ ورِفْقٌ

يشتركُ الإرسالُ والبعثُ في مَلْمَحٍ دلاليٍّ عامٍّ، وهو توجيهُ الشَّيءِ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ، ويفترقانِ بأنَّ البعثَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ التَّنبيهِ والإيقاظِ والإثارةِ، كبعثِ البعيرِ مِنْ مكانِه، والإرسالَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ الرِّفْقِ والرَّحمةِ إلّا في المواضعِ الّتي جاءَ مركَّبًا فيها معَ حرفِ الاستعلاءِ (على)، نحوُ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ [الفيل: 3][4]، وقد اختيرَ الإرسالُ دونَ البعثِ في الآيةِ؛ لأنَّهُ الأنسبُ بتكليمِ اللّهِ تعالى الّذي هو رحمةٌ ورِفْقٌ، وفيهِ تشريفٌ للمُرسَلِ والمُرسَلِ إليهِ.

(1) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (نطق).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 288، وزيدان، الفروق اللّغويّة، ص: 99.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 43.
(4) داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 136، و137.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"